Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (5), Issue (2): 28 Feb 2021
P: 18 - 32

ISSN: 2522-3380

مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (5)، العدد (2): 28 فبراير 2021م
ص:18 - 32

Cultural Criticism: Term, Concept, References

Abdallah Ayed Al Shorofat

Jadara University || Jordan

Abstract: This study aims at exploring the field of cultural studies and mainly the field of cultural criticism, which depends on the intertwined formats and postmodern methodologies, and that start from studying the theme as an organic unit in this new knowledge orientation, with the introduction of basic concepts that determine its path- i. e. cultural criticism, the idiomatic and its references on which it is based. This study seeks to identify the theoretical background for this critical approach, and the conceptual root of the cultural system. Consequently, the study will produce the descriptive approach with a historical tendency in order to present a vision that reflects cultural criticism in a concept and a term, and stands on the most important milestones in its course, starting with the reference frameworks that paved the way for its emergence until its appearance as one of the new errata cal trends in Western criticism. The importance of the study lies in its endeavor, in combination with other similar studies, to fill the special gaps in the concept of cultural criticism in a way that removes the ambiguity and ambiguity among many Arab scholars. This is what makes the call for more studies that reveal it, at the levels of theory and practice, and bring it closer to the Arab recipient as a legitimate and necessary matter.

Keywords: Cultural studies, Cultural theme, Cultural Criticism, Postmodernism.

النقد الثقافي: المصطلح، المفهوم، المرجعيات

عبد الله عايد الشرفات

جامعة جدارا || الأردن

الملخص: هدفت هذه الدراسة إلى البحث في مجال الدراسات الثقافية وبالتحديد مجال النقد الثقافي، هذا الأخير الذي يعتمد على الأنساق المتداخلة ومنهجيات ما بعد الحداثة، وذلك انطلاقا من دراسة النسق باعتباره وحدة عضوية في هذا التوجه المعرفي الجديد، مع طرح المفاهيم الأساسية التي تحدد مساره الاصطلاحي ومرجعياته التي انبنى عليها، وبالتالي تكون هذه الدراسة سعيا للتعرف على الفضاء النظري لهذا المنهج النقدي، والحفر المفهومي للنسق الثقافي، فتستثمر الدراسة المنهج الوصفي بنزعة تاريخية في سبيل تقديم تصوّرٍ يجلّي النقد الثقافي مفهوما ومصطلحا، ويقف على أهم المحطات الرئيسة في خط سيره، بدءاً من الأطر المرجعية التي مهدت لظهوره وحتى تبلوره كأحد التوجهات النقدية الأحدث في النقد الغربي. وتكمن أهمية الدراسة في سعيها للتكامل مع غيرها من الدراسات المشابهة لسدّ الفراغات الخاصة في مفهوم النقد الثقافي، على نحو يزيل ما فيه من غموض والتباس عند كثير من الدارسين العرب، حتى بعد الخوض فيه ومرور ما يقارب العقدين على استقباله عربيا، وهذا ما يجعل الدعوة لمزيد من الدراسات التي تجلّيه وتقرّبه للمتلقي العربي، على مستويي التنظير والتطبيق، أمرًا مشروعا وضروريًا.

الكلمات المفتاحية: الدراسات الثقافية، النقد الثقافي، النسق، ما بعد الحداثة.

مقدمة.

شهد المجال النقدي الغربي المعاصر في ثمانينيات القرن الماضي جملة من التحولات المعرفية والمقولات النقدية التي سعت إلى تجاوز المناهج النصانية وإحداث نقلة نوعية في الفكر الأدبي والفلسفي عند الغرب، وظهور مرحلة ما بعد الحداثة التي قدّمت فيها مجموعة من الرؤى المختلفة، متمثلة في: التفكيك، والنقد النسوي، والدراسات الثقافية، والنقد الثقافي، هذا الأخير الذي يعد منهجا نقديا جديدا يحمل آليات واستراتيجيات مختلفة في البناء والتحليل، متجاوزا النقد الأدبي، باحثا في علاقة النص، بمفهومه الشامل، بالمؤثرات الخارجية (سياسية، اجتماعية، أيديولوجية... الخ).

وعليه، فإنّ هذه الممارسة النقدية دفعت إلى استثمار المنهج الوصفي بهدف تقديم رؤية عن النقد الثقافي باعتباره منهجا ثقافيا تحليليا متطورا، والمنهج التاريخي لعرض أهم المحطات الرئيسية فيه، والاقتراب منها بغية الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1- ما النقد الثقافي؟
2- ما المدارس الغربية التي ساعدت في ظهوره، وكانت مرجعيات أساسية له؟
3- كيف يعتبر النسق مفهوما أساسيا في مسار النقد الثقافي؟

وهذا الموضوع- نقصد التنظير للنقد الثقافي- وإن تم التعرض له من قبل عدد من الباحثين- كلٌّ من زاويته الخاصة، التي تصب في بوتقة كشف هذا اللون من النقد وإيضاحه وإزالة اللبس عنه-، من مثل دراسة عبدالله الغذامي الموسومة بـ "النقد لثقافي: قراءة في الأنساق العربية"، والذي نظّر فيها للتاريخانية الجديدة والنقد الثقافي كنظرية نقدية جديدة يستلزمها الواقع النقدي كبديل للنقد الأدبي، الذي لم يعد يصلح للنقد ولا للحياة، كذلك عمد فيها على تطبيق النقد الثقافي على مجموعة من النصوص الأدبية لكشف عددٍ من عيوب الثقافة العربية، والدراسة التي حملت العنوان "النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث" للكاتب كمال بومنير، وتم الوقوف فيها على مدرسة "فرانكفورت"، إحدى أبرز المدارس النقدية التي أسست للنقد الثقافي، من خلال نشاطها النقدي لكثير من الأعراض الباثولوجية" المرضية" للحضارة الغربية، كـ "الهيمنة"، في فترة شهد فيه العالم الغربي تحولات كبرى، ودراسة عبد النبي اصطيف الموسومة "ما النقد الثقافي؟ ولماذا؟" التي اشتملت على مقدمة عن للنقد الثقافي وأهم النظريات والمفاهيم الخاصة به،... إلخ، فإننا نعدّ بحثنا هذا زاوية من هذه الزوايا، التي نرجو لها أن تسهم في ذلك الإيضاح مع غيرها من الدراسات، خصوصا أن هذا اللون النقدي ما زال جديدا، بل ومن أحدث ما انتجته فترة ما بعد الحداثة والفترة المعاصرة، عدا أنه غير مطروق على نحو كافٍ، وغير واضح لعدد كبير من الدارسين، وعليه، فالبحث يحاول أن يقدم رؤية عن النقد الثقافي، مصطلحا ومفهوما ومرجعيات.

1- النقد الثقافي: "النسق، المصطلح والمفهوم":

قبل التطرق إلى مفهوم النقد الثقافي الذي يهتم بدراسة ما تنتجه الثقافة من نصوص وخطابات، وتحديداً المرجعيات الأساسية التي ساهمت في ظهوره، فإنه يستوجب علينا الوقوف عند حدي مصطلح-النسق- من الناحية اللغوية من خلال تقفي مدلوله في بعض المعاجم العربية، والناحية الاصطلاحية انطلاقا من تعريف بعض الباحثين والنقاد له، وتحديد مدى أهميته في مجال النقد الثقافي.

1-1: النسق:

الناظر في الدلالة المعجمية لمفردة النسق في معجم العين يجد أن النسق من كل شيء: ما كان على نظامٍ واحدٍ عامٍ في الأشياء. وانتسقت الأشياء بعضها إلى بعض أيْ تنسَّقَتْ (الفراهيدي، 1986: 81). وإذا عدنا إلى المعجم الوسيط نجد المعاني نفسها، حيث أصل المادة (ن. س. ق) يعني الانتظام والتناسق، فنَسَقَ الشيء نسْقَاً: نَظَمه، يقال نَسَقَ الدُّرَّ. وناسَقَ بين الأمرين: تابع بينهما ولاءَم. والنَّسَقُ: ما كان على نظام واحد من كل شيء. ودُرٌّ نَسَقُ: أيْ منتظم. وكلامٌ نَسَقٌ: متلائم على نظام واحد (مجمع اللغة العربية، د. ت: 955). والمعاني الجامعة لما سبق هي النظام، والانتظام، والتناسق.

1-1-1: النسق بمعناه العام:

النسق بالاصطلاح العام لا يقتصر على نوع واحد فقط، وإنما يتعداه إلى أنواع مختلفة، بحسب المجال المعرفي الذي ينتمي له، فنجد مثلا:

أ- النسق الفلسفي:

فالنسق مفهوم فلسفي بالدرجة الأولى، وهذا ما ألمح إليه (جان بيار فرنان)، الذي يرى أن فلاسفة اليونان أول من تصوّروا محايثة دقيقة للنسق، فالتصورات الأولى للنسق الفلسفي قد نشأت وتبلورت عند (أفلاطون) و(أرسطو) لاحقاً، ولعل (هيجل)، كما يرى (فرنان)، أول فيلسوف استعمل مفهوم (النسق)، فقد ورد هذا المصطلح في عنوان أول مؤلف فلسفي عنده، وهو (في الفرق بين نسق فيشته ونسق شلنغ في الفلسفة)، وفيه يميّز (هيجل) في قراءته لتاريخ الفلسفة بين نمطين من الأنساق الفلسفية: نسق فلسفي كلي، ينطبق على تاريخ الفلسفة بكاملها، وأنساق فلسفية خاصة بالفلاسفة (الظاهر، 2014: 374- 375).

يراه سليمان الظاهر: "بناء فكري مركب من وحدات معرفية (فروض، قضايا، تصورات، مفاهيم، نظريات) تشكّل إطارًا تصوّريًّا مترابطًا ومتسقًا منطقيًا، في إطار منهج يهدف إلى الإحاطة بالوجود بأسره" (الظاهر، 2014: 373).

هذا النوع من الأنساق عدا أنه من أوائل الأنساق مادة للبحث، فإنه يمتاز عن بقية الأنساق في كونه ذا صلة بقضايا وتصورات وأفكار وجودية وأكثر شمولية، تخص البشرية جمعاء وتتجاوزها إلى الكون الفسيح والمعرفة بشكلها الواسع، غير مختزل بمجتمعات أو جماعات أو نظم أو فئات أو لغات أو بيئات محددة.

ب- النسق اللغوي:

يرتبط مفهوم النسق في "مجال الدراسات اللغوية بمفهوم البنية.، والبنية لا تقوم وفق تجميع عناصرها المجرّدة وإنما تتشكّل عبر نسق يقوم بتنظيم عناصرها الداخلية" (بولكعيبلات، 2017: 431)، وهو ما يطلق عليه تسمية (النسق الداخلي) باعتبار "التنظيم الذاتي الذي يشتمل عليه الأثر، إلى جانب التفاعلات الموجهة نحو وحداته الذاتية، أي التنظيم الذي ينطوي على اتجاهات وعلاقات الوحدات الشكلية أو اللغوية، وعلاقات هذه الوحدات بعضها ببعض"(حجازي، 2001: 127).

يعرف الشرماني النسق بأنه: "مجموعة من العناصر أو الأجزاء التي يترابط بعضها ببعض مع وجود مميز أو ميزات بين كل عنصر وآخر" (الشرماني، 2018: 7- 8)، فيحيلنا إلى شبكة من العلاقات المختلفة والمترابطة. وهذا ما يؤكده سعيد علوش في مُعجمه "المصطلحات المعاصرة" نقلا عن (م. فوكو)، فالنسق: "علاقات، تستمر وتتحول، بمعزل عن الأشياء التي تربطها" (علوش، 1985: 211).

ويتوافق التعريف السابق مع تعريف عبد الرحمن عبد الدايم الذي يراه: "مجموعة من الأجزاء تكون متماسكة ارتباطًا، ومتكاملة حركيًا، ومتكافئة وظيفيًا، من خلال تكامل أجزائه المترابطة" (عبد الدايم، 2011: 13).

يرى سمير حجازي في مصطلح النسق نموذجا نظريا لأدب معين يتألف من أجزاء مترابطة. يستعمل في أغلب الأحيان من قبل المدرسة الشكلية(البنيوية)، للتعبير عن وجود تساند وظيفي لأجزاء الأثر الأدبي، باعتبار البنيوية نظام "ينطوي على استقلال ذاتي، يشكّل كلّا موحدًا، وتقترن كليّته بآنية علاقاته التي لا قيمة للأجزاء خارجها (حجازي، 2001: 126)، وبالتالي ثمّة صلة وثيقة بين مفهوم النسق في المنجز اللغوي والأدبي، باعتبار أن الأدب قائم على اللغة، وأن الحمولات الدلالية للنص الأدبي تنطلق من النسق اللغوي.

النسق اللغوي، إذن، يتجلى في ذلك التتالي والانسجام والتماسك والتفاعل والتداخل المتخلّق من شبكة من العلاقات الداخلية بين مجموعة من العناصر، في إطار نظام جامع لها يحكم حركتها.

ج- النسق الاجتماعي:

يُعرَّف (كريزويل) النسق الاجتماعي بأنه: "نظام ينطوي على أفراد فاعلين تتحدد علاقاتهم بمواقفهم وأدوارهم التي تنبع من الرموز المشتركة والمقررة ثقافيًا" (كريزويل، 1993م: 411). ويشير في تعريف آخر له بأنه "مجموعة القوانين والقواعد العامة التي تحكم الإنتاج الفردي للنوع وتمكّنه من الدلالة (كريزويل، 1993م: 415). وهناك من يراه "مفهوم أو تصور يشير إلى مجموعة من الأفراد يتباينون ويتفاضلون وظيفيًا، وهم معنيون بحل مشاكل جمعية أو بتحقيق هدف جمعي" (الأكاديمية العربية البريطانية للتعليم العالي)

يشير(بارسونز) أن النسق الاجتماعي يتمثل في الفعل الاجتماعي، وذلك في إطار محاولته لتقديم رؤية مستقلة وفريدة لنظرية الأنساق الاجتماعية، من خلال أعماله التي قدمها والمتمثلة في كتاب (بنية الفعل الاجتماعي)، الذي صدر عام 1937م، و(النسق الاجتماعي)، الذي صدر عام 1951م، منطلقا من نقطة أساسية مفادها أن: الفعل غير ممكن إلا بوصفه نسقا (نيكلاس، 2010: 27، 30).

ولما كان النسق الاجتماعي تشترك في إنتاجه الظروف والقوى الاجتماعية والثقافية من ناحية والإنتاج الفردي للنوع من ناحية أخرى، وهو إنتاج لا ينفصل هو الآخر عن الظروف الاجتماعية والثقافة السائدة، فإن هذا النسق ليس نظاما ثابتا وجامدا، إنه ذاتي التنظيم من جهة ومتغير يتكيّف مع الظروف الجديدة من جهة ثانية؛ أي أنه في الوقت الذي يحتفظ فيه ببنيته المنتظمة يغير ملامحه عن طريق التكييف المستمر مع المستجدات الاجتماعية والثقافية" (حمودة، 1998: 194- 195).

النسق الاجتماعي يمثل النظام الذي يضبط علاقات الأفراد ومواقفهم وأدوارهم وأفعالهم داخل المجتمع، وبالتالي فهو ذو صلة مباشرة ببنية المجتمع وما يدور فيها من تفاعلات.

وينبغي الانتباه إلى أن النسق الاجتماعي هو نسق عام شمولي واسع، ينضوي في إطاره العديد من الأنساق الأخرى ذات الصلة بالفرد والمجتمع، كالنسق التاريخي، والسياسي، والديني، والاقتصادي، والتعليمي، والحضاري، والإنساني، والمعرفي،... إلخ.

د- النسق السميوطيقي:

هو نوع آخر من أنواع النسق، عرّفه سمير حجازي على أنه: "مصطلح يشير إلى وجود لغة اصطناعية تتكون من قواعد محددة تنهض على بعض الدلالات العامة، وتشير إلى مجموعة من العلامات اللغوية" (حجازي، 2001: 127)، على أن النسق السيموطيقي لا يقف عند حدود العلامة اللغوية، فالنسق السيموطيقي وإن يقوم في أساسه على اللغة إلا أنه يتسع ليتجاوزها إلى العلامات الإيحائية غير اللغوية، كالصور الفوتغرافية والمرئية، والأيقونات، والمجسمات، والألوان، والأعلام، ومقاطع الفيديو،.... الخ.

هو ذلك النسق "العلاماتي" المختص بكل ما ينطوي تحت مسمى "العلامة"، كالدوال، والأشكال، والرموز، والصور، والشيفرات اللغوية، والمعني بحياة العلامة وأصولها، ومرموزاتها، وما يتصل بها من قيم معرفية وثقافية،

ومقاصد ودلالات، وبالتالي فالوقوف على معطيات هذه العلامات ليس بالأمر اليسير، كما قد يظن البعض، إذ يتطلب من الدارس مطاردتها للوقوف على مرجعياتها ومقاصدها وحقيقتها، ولعل هذا ما دفع (جوناثان كلر) لتأليف كتابه "مطاردة العلامات"، وتخصيص فصلا في كتابه السابق، بالعنوان نفسه (كلر، 2018: 47).

وعلى العموم، النسق بالمعنى الاصطلاحي العام" يتميز بخاصية النظام الداخلي الذي يتحكم في عناصره، بالإضافة إلى ذلك فكرة النمط المتكرر، فلا يمكن للنسق أن ينشأ من نمط وجد لمرة واحدة، فهو عبارة عن سلسلة من الأحداث المتكررة وفق نظام داخلي ينظمه، وكل عنصر في النسق يرتبط وجوده وقيمته بعلاقته ببقية العناصر" (بولكعيبلات، 2017: 431). تلك العلاقة الارتباطية التي تحقق الانسجام الداخلي بين العناصر، بما يحقق لها فاعليتها التأثيرية.

ولا يقتصر النسق بالاصطلاح العام على ما سبق، فمصطلح النسق يمكن أن يتسع ليشمل كافة المجالات المعرفية ولكن بنطاق أقل تداولا وشمولية، فقد نجد، مثلا، النسق الموسيقي، والنسق القيمي، والنسق العاطفي، ونسق الصورة، وحتى نسق الطعام والشراب... الخ، على أن ما يهمنا، هنا، هو النسق بالاصطلاح الخاص.

1-1-: 2 النسق بمعناه الخاص:

إذا حاولنا الانتقال من المعنى العام إلى المعنى الخاص، فإننا نجد نوعا آخر من النسق والذي يعرف بالنسق الثقافي، ويندرج في مجال النقد الثقافي. هذا الأخير" استثمر ذلك المفهوم العام (اللساني والأدبي) للنسق، ولكنه اتجه به وجهة أخرى غير الوجهة المعروفة. فالنسق في النقد الثقافي هو (نسق ثقافي)، لا يتمثل في اللغة ولا يتمثل في تركيبه النص الأدبي ونظامه الذي يشترك فيه مع أبناء جنسه، إنما هو نسق دلالي يتمثل في مضمون النص الثقافي وحمولاته الثقافية"(حمزة، 2007: 92- 93)، ويتجلى، على حد تعبير عبد الله الغذامي، بتلك الهيمنة الثقافية على ضميرنا الثقافي (الغذامي، 2005، ص 162).

يمكن أن نعرف النسق، وفق هذا المعنى الخاص، بأنه أثر الثقافة المنعكس في ممارساتنا الفعلية والقولية، والمنسرب إلينا عبر النصوص بمفهومها الأعم، الذي لا يقف عند حدود النصوص الأدبية الابداعية، وإنما الذي يتجاوزها إلى كل أشكال الخطاب والتعبير: اللغوي، والصوري، والإشاري، والفني،... إلخ.

ويتحقق للأنساق الثقافية فعلها التأثيري علينا عبر النصوص والخطابات المختلفة بشكل غير مُدرك، غالبا، لكونها تتسم بخاصية التمدد الزمني والاستتار، لذا يُعدّ الحفر النصّي والكشف الخطابي لمعرفة هذه الأنساق هو أساس القراءة الثقافية التي تبحث الأنساق، وبالتالي فهي تتطلب- كما يشير يوسف عليمات– كفاءة معرفية تمتلك القدرة على تفتيق الكمائن الثقافية والأبعاد المعرفية داخل عوالم النص (عليمات، 2004: 15).

2-1: المصطلح والمفهوم:

بعد أن حلّ عصر التداخل المعرفي والثقافي محل عصر الثقافة الخالصة، اختفت تلك الحدود الفاصلة بين الثقافات والتوجهات المعرفية وتحققت تصورات (ميشال فوكو) بظهور توجهات معرفية ما بعدية "تداخلت مع غيرها من الاتجاهات، إذ يشيع الحديث عن اضمحلال الحدود، مثلا بين النقد والفلسفة، فقد يتعذر عليك تحديد أو تصنيف بعض الباحثين في اتجاه أو خانة بعينها، فهذا ميشال فوكو يتنقل بين الفلسفة والتاريخ والعلوم الإنسانية دون أن ينتسب إلى اتجاه بعينه، وهذا شأن دريدا، أيضا بوصفه ناقدا أدبيا في أمريكا أو باعتباره ناقدا للتحليل النفسي أو اللسانيات المعاصرة أو حتى الفلسفة والحقوق والفكر السياسي في مناطق أخرى" (بنعبد العالي، 1999: 21-22).

انطلاقا من هذا التجاوز للحدود المعرفية بدأت البدايات التأسيسية لمصطلح النقد الثقافي، باعتبار ظهوره أسبق بكثير من ظهور المفهوم وتجليه في الساحات النقدية والفكرية، فكان أول من بلور مصطلح النقد الثقافي، كمفهوم عام، هو (تيودور أدورنو) أحد الأعضاء المؤسسين لمدرسة فرانكفورت؛ ففي حين تؤكد المؤلفات الغربية والعربية نشوء النقد الثقافي مفهومًا وتنظيرًا في تسعينيات القرن الماضي نجد ظهورًا لتسمية (النقد الثقافي) أسبق من ذلك بكثير، في تلك الإشارة المبكرة الشهيرة السابقة للمفكر (تيودور أدورنو)، في كتابه (موشورات)عام 1951م، وتحديدا في فصله السابع المعنون بـ (النقد الثقافي والمجتمع)، وفيه يطرح (أدورنو) أن النقد الثقافي برجوازي أنتجه المجتمع الاستهلاكي، فهو يحوّل الثقافة إلى سلعة (دياب، 2004، ص ص: 50، 107).

والناظر في مسار النقد الثقافي، يجد أنّه مرَّ "بمرحلتين، في تشكله المفهومي، أولاهما: عامة متداخلة مع حقل الدراسات الثقافية، وأخراهما: خاصة منهجية مثّلتها مرحلة ما بعد البنيوية، إذ ظهر النقد الثقافي ما بعد بنيوي في نتاج (فنسنت ليتش)، الذي طرح مصطلح (النقد الثقافي)، تحديدًا، اسمًا لمشروعه النقدي" (حمزة، 2017: 52).

يرى "ليتش" أنّ رؤية ما بعد البنيوية مكّنت النقد من الخروج من بوتقة الشكلانية والدخول على عوالم الثقافة المختلفة التي أهملتها الدراسات النقدية السابقة، وقد توقف أثناء تحديده للمصطلح عند الثقافة، وعبّر عنها بأنها(دينامية نشطة وحيّة) متعددة الأوجه، يدخل فيها الاقتصاد، والتنظيم الاجتماعي، والقيم الأخلاقية والمعنوية، والمعتقدات الدينية، والممارسات النقدية، والأبنية السياسية، وأنظمة التقييم، والاهتمامات الفكرية، والتقاليد الفنية (ليتش، 2000: 14)، مما يعني أن الثقافة لا تقتصر على مجال محدد أو موضوع بعينه، وإنما هي لوحة فسيفسائية تتشكل من تداخل الاختصاصات وتعدد المجالات، فالثقافة مجال لا يمكن تحديده، وهو ما جعلها ركيزة أساسية للنقد الثقافي، هذا الأخير الذي يقوم "على الاستفادة من مختلف العلوم الاجتماعية والإنسانية، كالتاريخ، وعلم الاجتماع، والسياسة (رويدي، 2014: 414)، وهذا ما ساهم، بحسب فارس البيل، في تحديد خصوصية النقد الثقافي وتميزه عن النقد التقليدي وجعله يتميز بخاصية المجال اللا محدود وانفتاحه الواسع على شتى الحقول المعرفية، مستثمرا المعطيات النظرية والمنهجية لتلك الحقول المعرفية المتداخلة، لكون هذا الخطاب لا يصدر عن فراغ، فتكون دراسته للنصوص من حيث علاقتها بمختلف الأيديولوجيات والمؤثرات التاريخية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والفكرية، فيكشف بعملية التشريح النصيّة مدى تفاعل النص مع الثقافة، وكشف حيل الثقافة في إدراج أنساقها(البيل، 2016: 18، 20) .

ينأى هذا النقد بنفسه عن سيطرة الثقافة بمفهومها الأدبي الضيق، وسطوة الجماليات، والأدب الرسمي، والتخصصيّة، ويُعنى بأسئلة الثقافة بمفهومها الواسع، وبأسئلة الحضارة والمجتمع، وبالإدراك والتحليل والوعي للأيديولوجيات وللممارسات الثقافية والأنظمة السلطوية والاجتماعية السائدة، وبما هو غير رسمي.

وإذن، يتجاوز النقد الثقافي بذلك مرحلة العلم الخالص والثقافة المركزية الخالصة والمنهجية الواحدة ليصبح الهدف الأساسي له هو مركزة الهامش وتهميش المركز وتغيير رؤية المؤسسة الأكاديمية. مزيلا بذلك الحواجز بين التخصصات والمستويات في الممارسات الإنسانية التي تنتمي إلى الثقافة، والتي تتشكل من مجمل الممارسات الإنسانية في البيئة الطبيعية، وإنكار التمييز بين ما يسمى القاعدة (البناء التحتي) والسطح (البناء الفوقي) (قنصوه، 2007: 05).

ما سبق كان وراء ابتعاد النقد الثقافي عن السرديات المركزية واهتمامه بالأثر الاجتماعي للنصوص وأشكال الهيمنة، وانفتاحه على الثقافات الشاملة، والمقصيّة والبعيدة عن دائرة الاهتمام، والخروج على الخطابات المعرفية المركزية لتصبح غايته النص باعتباره منتجا ثقافيا وليس قيمة جمالية.

يعرفّ الغذامي النقد الثقافي بأنه: "فرع من فروع النقد النصوصي العام، معني بنقد الأنساق المضمرة، التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي، وما هو كذلك سواء بسواء" (الغذامي، 2005: 83-84).

وهو عند سحر حمزة: "ممارسة نقدية تتوسل بالوسائل النقدية التقليدية لفحص النصوص الإبداعية على تنوعها-لغوية، صورية، صوتية- وتحليلها والكشف عن أنظمة تشكلها الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية المتخفّية فيها، فضلا عن الاهتمام بتأثير تلك النصوص وكيفيات ذلك التأثير ووسائله" (حمزة، 2017: 60).

وبحسب عبد العال: "نشاطا معرفيا يتناول بالتحليل الظواهر الثقافية كافة في ضوء العلاقة بينها وبين كل من المجتمع والأيديولوجيا والثقافة، وذلك من خلال الكشف عن الأنساق الثقافية الكامنة والفاعلة في هذه الظواهر، بهدف تقويضها وتفكيكها" (عبد العال، 2017: 683)

والنقد الثقافي عند فارس البيل: "مشروع يؤكد على ضرورة الاستفادة مما تنتجه العلوم الاجتماعية والإنسانية كالتاريخ وعلم الاجتماع والسياسة، يتوخى بلوغ المعارف بعد استخدام واسع للنظريات والمفاهيم من شتى الحقول والمعارف التي تتيح القرب من فعل الثقافة في المجتمعات... يستثمر المعطيات النظرية والمنهجية لحقول معرفية متداخلة، ليكشف عن الإشارات الثقافية المختبئة في الخطاب كون هذا الخطاب لا يصدر عن فراغ.. ، فهو يدرس النص من حيث علاقته بالأيديولوجيات والمؤثرات التاريخية والسياسية والاجتماعية و الاقتصادية والفكرية، ويقوم بالكشف عنها وتحليلها بعد عملية التشريح النصيّة وبيان مدى تفاعل النص مع الثقافة، وكشف حيل الثقافة في إدراج أنساقها" (البيل، 2016م، 18، 20)، في حين يراه بوحالة" نشاطا يبحث عن الثقافي داخل الأدبي، ظهر جليا أثر الدعوة إلى نقد (جديد) يتجاوز مقولات النقد الأدبي وعلى رأسها الجمالية إلى نقد ثقافي يهتم بالأنساق الثقافية المضمرة خلف البناء اللغوي (بوحالة، 2015: 76).

التعريفات السابقة، للنقد الثقافي بالاصطلاح الخاص، اتفقت على وظيفته التحليليّة الكشفيّة للمضمرات الثقافية في النصوص والخطابات، لكنها اختلفت في رؤيتها لطبيعته، وتصنيفه على المستوى النقدي، فمنها ما اعتبره"منهجا" نقديا، ومنها ما رأى فيه "ممارسة" أو "فاعلية"، أو "مشروعا".

في الحقيقة، يمثّل مقاربة منهجية نقدية– بمعنى تتحقق له شروط المنهج النقدي المتكامل كونه يشتمل على آفاق تحليلية منهجية ثريّة وخصبة، ويتسم بفعاليته المنهجية والإجرائية، ويمتلك أدواته الخاصة به- جعلت من الأنظمة والأنساق الثقافية الركيزة الأساسية في الفهم والتحليل والكشف عن المضمر في النصوص والخطابات، انطلاقا من هذه المفاهيم العامة والخاصة للنقد الثقافي، هذا النقد الذي لم يأت من فراغ، وإنّما ظهر من خلال مجموعة من المرجعيات والخلفيات التي مهدت لهذا الظهور.

2- مرجعيات النقد الثقافي.

تتصل نشأة النقد الثقافي بالدراسات الثقافية العامة والخاصة، التي اتصلت أصولها بالنقد الماركسي لمدرسة فرانكفورت الألمانية، قبل أن تتخذ هذه الدراسات صيغة رسمية، وتتبلور كمصطلح مع مركز برمنجهام البريطاني.

وتعد مدرسة فرانكفورت النموذج الأولي للدراسات الثقافية التي ازدهرت في الثلاثينيات من القرن العشرين في ألمانيا، ثم تاليًا في الولايات المتحدة الأمريكية في الأربعينيات من القرن نفسه، واستمرت في الولايات المتحدة الأمريكية لعقود تلت، قبل أن تعود إلى الازدهار من جديد في ألمانيا (أيزابرجر، 2003: 92)، والتي تعتبر من أهم المدارس "الفلسفية الغربية المعاصرة.. التي اكتست اليوم أهمية بالغة نظرًا لغنى وتنوع كتاباتها المنفتحة على مختلف

المرجعيات الفلسفية الكبرى (الكانطية، والهيغيلية، والماركسية، والفرويدية،... الخ)، ومواكبتها للإشكاليات المعقّدة المطروحة في المجتمعات المعاصرة، وللتحولات الفكرية والاجتماعية والسياسية لعالمنا المعاصر" (بومنير، 2010: 09).

وهذا التيار النقدي الثقافي العام- الذي اقترن بمدرسة فرانكفورت- هو وليد العديد من الظروف والظواهر والملابسات المتشابكة، على حد تعبير المفكر (ستيوارت هول)، في مقدمتها الثورة الصناعية التي غيّرت العلاقات والمفاهيم بما فيها البيئة، والعادات، وأسلوب حياة العائلة في المجتمعات الأوروبية، التي أخذت تتفكك وتشهد بروز ثقافة جديدة، هي الثقافة الفردية، والتي بمقتضاها يقرر الأفراد مصيرهم. إضافة إلى الحرب العالمية (الأولى والثانية)، التي دفعت بالرجال إلى المشاركة بالحرب، والاضطرار إلى تعويضهم بالنساء للعمل في المعامل والمصانع التي تركوها، مما أكسَبَهُنَّ هوية مختلفة، وهذا خلق نوعًا من الكفاح الثقافي والسياسي والاجتماعي عند المرأة، وأدى إلى تشكّل ملامح جديدة لهوية النساء الأوروبيات، وخاصة في المجتمعات الصناعية. كما كانت حركات التحرر الوطني في العالم الثالث، في الثلاثينيات من القرن العشرين، وراء خلق ما يُسمى بـ(المقاومات الثقافية)، حيث بدأ مفهوم الثقافة يتغير، ويعيد تشكّله من جديد، ويخرج من نفق المركزية الأوروبية (عمر، 2018: 15).

لعل أهم ما يميّز هذه المدرسة الفلسفية اتخاذها النقد منهجًا، ومحاولة القيام بممارسة نقدية جذرية للحضارة الغربية، قصد إعادة النظر في أسسها ونتائجها في ضوء التحولات الأساسية الكبرى التي أفرزتها الحداثة الغربية، وخاصة منذ عصر الأنوار، الذي يعدُّ نقطة تحوّل جوهرية في مسار هذه الحداثة، كذلك لعبها دورًا هامًا في رصد مختلف الأعراض الباثولوجية (المرضية) التي عرفتها المجتمعات الغربية، كالتشيؤ، والاغتراب، وضياع مكانة الفرد، وأزمة المعنى وغيرها مما حدا بالنظرية النقدية لهذه المدرسة بتوجيه انتقادات جذرية وعميقة لكثير من المفاهيم والقيم التي تأسست عليها هذه المجتمعات، كالعقلانية، والحريّة، والتقدّم العلمي، والتقني وما ارتبط بها من نزعات وضعية وعلموية وتقنوعلموية، وغيرها من النزعات التي سعت للحفاظ على الوضع القائم والمصالح المهيمنة فيه، ولهذا قدّم مفكرو مدرسة فرانكفورت تحليلًا نقديًا للمجتمعات المتقدمة تكنولوجيًا ولأسسها الأيديولوجية قصد الكشف عن الآليات الفكرية والسياسية التي تتحكّم وتوجّه هذه المجتمعات (بومنير، 2010: 9- 10).

لقد كان عصر مدرسة فرانكفورت، في الثلاثينيات من القرن العشرين، عصر رأسمالية الدولة (نظام حكم رأس المال)، حيث أدارت الدولة والشركات العملاقة الاقتصاد، وعملت على إذعان الأفراد لسيطرتها أو ما وُصف في هذه المدرسة بـ" نهاية الفرد"، فالثقافة التي كانت تسود المجتمع هي ثقافة تجارية وتكنولوجية بدرجة كبيرة، تخدم مصالح الشركات المهيمنة، وتلعب دورًا كبيرًا في إعادة إنتاج الأيديولوجيا. لقد أراد هذا النظام أن يوجد رغبات وأذواقًا وسلوكًا تتسم جميعها بالطابع الجماهيري (كلنر، 2017: 251). من هنا، قامت هذه المدرسة باستخدام تعبير "صناعة الثقافة"، ودرسه داخل سياق سياسي بوصفه شكلًا من أشكال دمج الطبقة العاملة في المجتمعات الرأسمالية. فقد كانت من أولى الجماعات الماركسية الجديدة التي تناولت تأثير كلٍّ من الثقافة الجماهيرية ونشأة المجتمع الاستهلاكي على الطبقات العاملة، التي كان من المفترض أن تكون أداة ثورة في السيناريو الماركسي القديم (كلنر، 2017: 250).

ومنه نتبيّن أن هذه المدرسة مثّلت حالة ثورية على أمراض المجتمع وعيوبه، وخروجا على هيمنة الفكر الرأسمالي البيروقراطي، وثقافة التسليع ومحاولة إعادة النظر فيهما والتحرّر من سطوتهما، وبالتالي الخروج من أزمة فكر عام تسلطي (أبوي)، ساد الفكر والثقافة الأوروبية لفترات طويلة وترسَّخ فيهما.

ومع أهمية الدور التمهيدي الذي لعبته مدرسة فرانكفورت في نشأة النقد الثقافي، إلا أن هذا النقد قد اقترن فعليًا بالدراسات الثقافية البريطانية الرسمية، التي أزهرت في بريطانيا بأثر من العديد من العوامل الخارجية والداخلية.

فالدراسات الثقافية الرسمية يؤرخ لها في الوقت الذي شرع فيه "مركز الدراسات الثقافية المعاصرة بجامعة برمنجهام Brimingham في عام 1971- في نشر صحيفة أوراق عمل في الدراسات الثقافية Working papers in Cultural Studies، والتي تناولت وسائل الإعلامMedia، والثقافة الشعبيةPopular Culture، والثقافات الدنيا Sub Culture، والمسائل الأيدلوجيةIdeological matters، والأدبLiterature، وعلم العلاماتSemiotics، والمسائل المرتبطة بالجنوسةgender Related issues، والحركات الاجتماعيةSocil movements، والحياة اليوميةeverey day life، وموضوعات أخرى متنوعة" (أيزابرجر، 2003: 31). ومع أن هذه الصحيفة لم تستمر طويلا إلا أنها قد أثّرت تأثيرًا كبيرًا في سير الدراسات النقدية الثقافية، كما يرى (أرثرآيزبرجر)، إذ قدّمت، بحسب تعبيره، مما يمكن أن نسميه بمصطلح المظلّة(Umbrella term) لهذه الدراسات (آيزابرجر، 2003: 31).

ومنه، فإن بداية نشأة الدراسات الثقافية في بريطانيا كانت "على أيدي مجموعة من الناشطين والمفكرين والأكاديميين البريطانيين اليساريين؛ قبل أن تنتشر في الدول الناطقة بالإنجليزية (الأنجلوفونية Anglophone) والدول الناطقة بالفرنسية (الفرانكفونية Francophone)؛ وتأخذ طابعًا عالميًا فيما بعد، اتساقا مع التوجه العولمي الذي حصل على أصُعُد الحياة المختلفة، الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية" (ديورنغ، 2015: 9- 10).

لقد تشكلت الدراسات البريطانية من رحم أعمال مؤرخي الحزب الشيوعي في جامعتي كمبردج وأكسفورد، الذين سعوا لنشر الوعي بأهمية دور الطبقة العمالية ونظّروا للتأريخ للشعب الانجليزي وفق تفسير ماركسي يعنى بالطبقات الدنيا، ومن أعمال الرواد الأوائل في ميدان الدراسات الثقافية العامة أمثال "هوغارت"، و"ويليامز"، و"تومبسون"، الذين انطلقوا من أعمال (إن. آر. ليفيز) المدافع عن ثقافة النخبة مقابل الثقافة الشعبية، فقدموا مفهوم للثقافة مغاير للثقافة النخبوية السائدة في تلك المرحلة، ومن أعمال مجموعة من المفكرين الماركسيين الأوروبيين، التي أتاحها اليسار الجديد من خلال مجلة (اليسار الجديد)، لا سيّما "غرامشي"، و"ألتوسير"، ومدرسة فرانكفورت. (اصطيف، 2017، ص19- 20). وبالتالي يمكن وصف الدراسات الثقافية البريطانية- بـ" أنّها "مزيج من السوسيولوجيا Sciologyاليسارية وتعليم البالغين والنقد الأدبي، قبل أن تنتشر... عبر الكثير من الوسائط الأكاديمية العالمية" (ديورنغ، 2015: 16).

تتبعت "سحر حمزة" تطور هذه الدراسات في صورتها العامة والخاصة، بشيءٍ من التفصيل، ووقفت على كثيرٍ من آراء الدارسين حولها- والتي بيّنت أن هذه الدراسات التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى ونمت في عصر النهضة، قد توسع نشاطها مع بحوث علماء الأنثروبولوجيا وكسرهم للدراسات الثقافية التقليدية، ومنهم الأمريكي بيتر بيرجر، والبريطانية ماري دوجلاس، والفرنسي ميشيل فوكو، ويورجين هابرماس، والتي كانت من مداخلهم في هذا المجال: التاريخ والاجتماع والأنثروبولوجيا والفلسفة، حيث ساهمت جهودهم في تقدّم الدراسات الثقافية العامة بشكل ملحوظ، فصدرت أهم المؤلفات في هذا المجال، من مثل: إنتاج فراي، وأبرامز، ورولان بارت، ولاكان، ورومان ياكبسون،... إلخ، وعن هذه الدراسات الثقافية العامة تبلورت الدراسات الثقافية الخاصة بالأدب، حيث كان للإصلاحات في ميدان التعليم وبرامج تعليم الكبار في بريطانيا ولشخصيات مثل: ريتشارد هوجارت، وستيوارت هول، ورايموند وليامز، دورٌ هامٌ في تبلور هذه الدراسات الثقافية الخاصة، والتي تمثلت بأكمل وجوه التمثّل بكتاب الأخير الأشهر (الثقافة والمجتمع)، بل كان لها أبرز الأثر في تطورها، وتلك التي تجاوزت حدود الأدب الرسمي، ووسّعت نطاق الدروس ونطاق التراث المعتمد لتشمل في الخمسينيات والستينيات الكتابات المستبعدة، ومنها: كتابات الجماعات المهمشة، وكتابات الطبقة العاملة، والملوّنين، والمرأة، مما شكّل إرهاصة أولى لكسر مركزية النص الأدبي الرسمي، وبداية إحلال النص الثقافي الذي جاء به النقد الثقافي، وتوسيع دائرة الأدب من النخبوي إلى ما هو شعبي، وكيف

كان لهذه الدراسات تأثير على الأدب تمثل في إزالة الحواجز بين التخصصات والحقول المعرفية المختلفة (حمزة، 2017: 20- 32).

الخلاصة: إن الإسهابات النظرية لكل من مدرسة فرانكفورت، ومركز برمنجهام، ودوجلاس، وفوكو، وهابرماس، وهول، وطومسون، والنقاد اليساريون، والماركسيون، وايستهوب، ووليامز، وهوجارت، وإيغلتون، وجون برنكمان، أسهمت في الحضور الفاعل للدراسات الثقافية البريطانية الخاصة بالأدب، والذي أسهب، بدوره، في بلورة مجموعة من الاتجاهات النقدية، أهمها: التاريخانية الجديدة، والمادية الثقافية، والنقد الثقافي (حمزة، 2017: 20، 32).

وسنقف عند هذين التيارين النقديين- نقصد التاريخانية الجديدة، والمادية الثقافية- بشكل موجز، لاتصالهما الوثيق بالنقد الثقافي، وخاصة التاريخانية الجديدة.

أ- التاريخانيَّة الجديدة:(New Historicism)

تعد هذه النظرية من "أهم نظريات الأدب التي ظهرَت في فترة ما بعد الحداثة، ما بين1970 و1990، وقد تَبَلْوَرت هذه النظرية فعليًّا ضمن حقل النقد الثقافي" (حمداوي، 2012م). هذا من ناحية عامة، أما من ناحية خاصة فهي تعتبر منهجا نقديا ثقافيا، ساد في الولايات المتحدة الأمريكية في ثمانينيات القرن الماضي، وردّة فعل لطغيان الاتجاه الشكلاني، وكان رائدها ستيفن غرينبلات الذي أطلق عليها مصطلح (الشعرية الثقافية) سنة 1980م، ليعدل عنه لاحقًا، سنة 1982، ويسمّي منهجه بـ"التاريخانية الجديدة"، وقد كان لمفهوم الخطاب والسلطة عند فوكو ومقولاته حول الحقب الإبستمولوجية أثر بالغ في ظهورها (غرينبلات، ومنتروز، وغالغر، ولينتريشيا، وتايسن، 2018: 5-7).

ظهور التاريخانية الجديدة جاء "كنقدٍ للتاريخانية القديمة، وتقويضٍ للمدارس الفنية والجماليَّة، ونقدٍ للتيارات الشعريَّة والبنيويَّة، والنصيَّة المُغلقة، التي كانت تُعنى بشكلٍ من الأشكال بالبنيات الصوريَّة المجرَّدة، ومِن ثَمَّ، فهي مقاربة متعدِّدة الاختصاصات، تُشبه إلى حدٍّ كبير النقد الثقافي" (برقلاح، 2015: 79).

هناك أوجه تشابه تربط ما بين النقد الثقافي والتاريخانية الجديدة: فـ إذا "ما كان النقد الثقافي هو الكشف عن العيوب النسقية التي توجد في الثقافة والسلوك، بعيدًا عن الخصائص الجمالية والفنية، والتاريخانية الجديدة بمنزلة نصوصٍ وخطاباتٍ، تَحمل في طيَّاتها أنساقًا جماليَّة رمزيَّة، بيد أنها تَحوي رسائلَ مُضمرة و مَقصديَّات مباشرة أو غير مباشرة، تُحيل على سياقها الثقافي والاجتماعي، والسياسي والأيديولوجي، فإن العلاقة بينها جد وطيدة، ذلك أن أهمية التاريخانية الجديدة تبرز في الفضاء المعرفي المنتمي لما بعد الحداثة، وبشكل أكثر تحديدًا في النقد الثقافي، من خلال بلورتها لمنظومة من العمليات الإجرائية التحليلية ذات النزعة التأويلية في دراسة النصوص الأدبية على خلفية الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي الذي أنتجه" (برقلاح، 2015: 79).

وحدة الأهداف والتوجهات وظروف النشأة والمرجعيات ما بين التاريخانية والنقد الثقافية، كاتجاهين نقديين جديدين ينتميان إلى فترة ما بعد الحداثة، ويمتلكان رؤية جديدة تنظر للنصوص والخطابات بوصفها أنساقاً وتمثيلات ورموزاً ثقافية دالة، لا باعتبارها صيغا لغوية وجمالية، هو وراء الخلط ما بينهما، أو اعتبارهما شيئا واحدا، عند عدد من الدارسين، على نحو ما نجد عند الغذامي في كتابه الشهير "النقد الثقافي".

في الحقيقة، يجمع هذا الاتجاه– نقصد التاريخانية والنقد الثقافي– قواسم مشتركة، تتمثل في أنهما يشتركان بمقدار كبير في مبادئهما النظرية، باستثناء وضعيات ثلاث: أولا: إن النقد الثقافي يميل لأن يكون سياسيًا بشكل أكثر علنًا في دعمه للجماعات المضطهدة، وثانيا: بسبب توجهه السياسي، غالبًا ما يعتمد النقد الثقافي على

النظرية الماركسية، والنسوية، والنظريات السياسية الأخرى في إنجاز تحليلاته، وثالثًا: يهتم النقد الثقافي بشكل خاص، وبالمعنى الأضيق بالكلمة، بالثقافة الشعبية (غرينبلات، 2018: 160).

يمكننا القول، بناء على هذا التشابه وهذه القواسم المشتركة التي تجمع التاريخانية الجديدة بالنقد الثقافي: إن التاريخانية الجديدة قد مهدت مع غيرها من النظريات والاتجاهات الفكرية والنقدية الما بعد حداثية لظهور النقد الثقافي كبديل جديد للمناهج السياقية والنصانية، بل وثورة على ما هو قارّ ورسمي.

ب- المادية الثقافية (Cultural materialism):

المادية الثقافية نهج نقدي جديد ينتمي إلى الدراسات الثقافية، ومدرسة من مدارسها، تبحث في علاقة الجانب المادي بالثقافي والاجتماعي، وهي تمثّل النسخة البريطانية "للتاريخانية الجديدة" الأمريكية.

إن عمليات التفاوض المعرفي والتنافذ والتناص الثقافي، والانطلاق من نفس المرجعية الماركسية واليسارية، والإحالة على نفس الأسماء من الفلاسفة والمفكرين، كل ذلك جعل الدارسين والباحثين في تاريخ تطور النقد الثقافي يخلطون وبدرجات متفاوتة بين تلك المدارس النقدية المتنوعة. فبينما تأرجح جون برانيغان بين أعتبار كلٍّ من التاريخانية الجديدة الأمريكية والمادية الثقافية البريطانية نسختين لمدرسة نقدية واحدة، وبين الأخذ بالفصل بين المدرستين فصلًا جزئيا في كتابه "التاريخانية الجديدة والمادية الثقافية، نجد كذلك من يصل بين التاريخانية والنقد الثقافي، ومن يفصل بينهما، ولعل من أهم المدارس التي تندرج ضمن خانة النقد الثقافي نجد (لطائي، 2009م، صحيفة المثقف الإلكترونية):

الاتجاه المادي الثقافي ⟵ مركز أبحاث جامعة برمنغهام (الناقد اليساري ريموند وليامز).

جامعة كولومبيا ⟵ الناقد إدوارد سعيد من خلال كتابه الاستشراق عام 1987، مؤسس منهج ما بعد الكولونيالية.

الكوليج دو فرانس ⟵ الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو.

جامعة بيل الأمريكية ⟵ ظهور الدراسات التفكيكية وانتشارها.

ولم يتوقف الأمر عند هذه المدارس فقط، بل ظهرت حركات نقدية ومناهج متعددة "تستفيد من الأطر المرجعية للنقد الثقافي ومقولاته المؤسسة، وتنضم الى هذا العنوان الواسع، مثل: النقد النسوي، والسوسيوثقافي، ونقد الثقافة الشعبية، ونقد وسائل الاتصال الجماهيرية (لطائي، 2009).

وأهم المشارب المعرفية التي استقى منها النقد الثقافي حضوره الطاغي الآن نجد (لطائي، 2009، صحيفة المثقف الإلكترونية):

مشارب النقد الثقافي
- نظريات ماركس
- مدرسة فرانكفورت (آليات النظام الرأسمالي: الأشكال الثقافية والفنية)
- غرامشي (مفهوم الهيمنة ودور الثقافة في الصراع الاجتماعي)
- ألتوسير (مقولة التشكيل الاجتماعي والمؤسسات الأيديولوجية للهيمنة)
- فوكو/ بيير بورديو (الأفكار المتعلقة بالخطاب والابستيمو الرأسمال الاجتماعي، التفاعلية)

ومنه يمكن القول باختصار: إن"نشوء النقد الثقافي كان نتيجة حتمية لظهور الدراسات الثقافية وتطورها بفرعيها العام والخاص بالأدب، فالنقد الثقافي هو وليد تلك المؤثرات الثقافية التي نشأت في الغرب" (حمزة، 2017: 47)، فلقد شهد نقلة نوعية بعد بلورته على يد (تيودور أدورنو) مع مدرسة كمبردج، وتحديدا لدى (ليفز) الباحث

عن الأصالة الجمالية والرسالة الأخلاقية في النص الأدبي، ثم مع مبحث أنثروبولوجيا الأدب الساعي إلى توضيح وتعيين أنساق القيم التي تجري عبرها الفعالية الجمالية، وكذلك مع عمدة السيمانتيك (بيرس)، الذي قام بتحديد مكونات ما يمكن أن نطلق عليه بـ"النقد الثقافي"؛ إذ تمرّ مقاربة النص عنده بمستويات ثلاث: بنيوي، ودلالي، وبراجماتي أو تداولي، وكذلك الأمر مع (فوكو)، الذي أكد في تحليلاته الحفرية أو الجينيالوجية على كيفية تشكل الممارسات الخطابية (دياب، 2004: 107)، قبل أن يتبلور هذا المفهوم بمعناه الاصطلاحي الخاص "في السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، بعد أن عمّمه لنا (فننست ليتش)، وأبرزه في كتابه (النقد الأدبي الأمريكي، 1988)، بعد أنْ كان الشائع قبل ذلك هو مصطلح الدراسات الثقافية" (عمر، 2018: 15)، ليتخذ بعد ذلك أشكالًا متعددة من التنظير والتطبيق.

إنّ ما بات يُعرف اليوم بالنقد الثقافي، يمثل أحدث ما أفرزته الساحة النقدية الغربية في ميدان رصد النشاط الإنساني ووصفه ونقده، والذي أخذ امتداده من مفاهيم الثقافة العامة، ثم تخصص مفهوم الثقافة في العلوم الإنسانية ولاسيما في النقد الأدبي (التميمي، والشجيري، 2014: 159- 160).

خاتمة:

وفي خاتمة هذا البحث يمكن القول: إن هذه الدراسة النظرية ما هي إلا وجهة بحثية مختصرة تعرّف بالنقد الثقافي، ومفاهيمه، وأنساقه، ومرجعياته والخلفيات الأساسية التي ساهمت في ظهوره، والتي تعد من صميم هذا المجال، الذي يبحث عن النشاط الثقافي داخل النشاط الأدبي، متجاوزا أنساق المناهج النصية إلى أنساق ثقافية تهتم بكل ما هو مضمر، والذي يحتل في الزمن الراهن أهمية كبيرة بين النقاد والباحثين بسبب الموضوعات الجديدة التي يحملها، والتي جمعت بين ما هو ما بعد حداثي، نسوي، رقمي وتفاعلي... إلخ، وغيرها من الموضوعات التي أصبحت موضوع الساحة النقدية العربية المعاصرة.

خلاصة نتائج البحث.

وقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج، هي الآتي:

- ينتمي النقد الثقافي إلى فترة ما بعد_الحداثة، التي شهدت جملة من التحولات المعرفية والمقولات النقدية التي سعت إلى تجاوز المناهج النقدية التي سبقتها، وإحداث نقلة نوعية في الفكر الأدبي والفلسفي عند الغرب.
- يمثّل النقد الثقافي مقاربة منهجية نقدية– بمعنى تتحقق له شروط المنهج النقدي المتكامل كونه يشتمل على آفاق تحليلية منهجية ثريّة وخصبة، ويتسم بفعاليته المنهجية والإجرائية، ويمتلك أدواته الخاصة به، وبالتالي ليس النقد الثقافي مجرد نشاط أو فعالية أو ممارسة نقدية، كما يرد عن بعض النقاد والدارسين.
- مع كثرة استخدام النقد الثقافي في الدراسات النقدية والتحليلية، في الآونة الأخيرة على وجه الخصوص، إلا أنه، فيما يبدو، إلى الآن غير واضح المعالم عند كثير من الدارسين، إذ تغيب عنهم رؤية واضحة للمنهج، ينطلقون منها في مقارباتهم الثقافية للنصوص والخطابات، فهما وتفسيرا وتأويلا، فنلمس عند كثير منهم نوع من الحذر عند الولوج في هذا المجال، أو حتى العزوف عنه إلى غيره من مناهج النقد الأخرى القارّة، ومن هنا، جاءت هذه المحاولة لتسهم مع المحاولات الأخرى في توضيح هذا الاتجاه النقدي للدارسين، ولتساعدهم على هضمه واستيعابه.

- هناك مجموعة من المرجعيات والخلفيات التي مهدت لظهور الدراسات الثقافية العامة والخاصة، تلك الأخيرة التي اسهمت بدورها مع مجموعة من العوامل الأخرى، كالتداخل المعرفي والثقافي واختفاء الحدود الفاصلة بين الثقافات والتوجهات المعرفية المساندة، في ولادة النقد الثقافي.
- النسق الذي يوليه النقد الثقافي أهمية كبيرة، ويمثّل مادة أساسية في المقاربة الثقافية هو ذلك النوع خاص من النسق الذي يتصل بالمضمر الثقافي، وأمّا النسق بالاصطلاح العام، فيتشعب إلى أنواع مختلفة، بحسب المجال المعرفي الذي ينتمي له.
- يستقي النقد الثقافي من العديد من المشارب المعرفية والمؤثرات الثقافية التي نشأت في الغرب، وكذلك تنضوي تحت مظلته العديد من المدارس النقدية.
- الانطلاق من نفس المرجعية الماركسية واليسارية، والإحالة على نفس الأسماء من الفلاسفة والمفكرين، كل ذلك جعل الدارسين في تاريخ تطور النقد الثقافي يخلطون وبدرجات متفاوتة بين النقد الثقافي ومجموعة من المدارس والاتجاهات النقدية ذات الطابع الثقافي، كالتاريخانية الجديدة، والمادية الثقافية، والدراسات الثقافية،... الخ.

المصادر المراجع:

1- اصطيف، عبد النبي. (2017). ما النقد الثقافي؟ ولماذا؟، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد 3/25، العدد 99، ربيع، 15-29.

2- أيزابرجر، أرثر. (2003). النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، ترجمة: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر.

3- برقلاح، إيمان. (2015). النقد الثقافي والتاريخانية الجديدة، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة خنشلة، الجزائر، ملحق النقد الثقافي، العدد الأول، جانفي.

4- بنعبد العالي، عبد السلام. (1999). ميتولوجيا الواقع، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء- المغرب.

5- بوحالة، طارق. (2015). نظرية النقد الثقافي في الخطاب العربي المعاصر، مركز المنشورات العلمية في جامعة محمد الشريف مساعدية، سوق أهراس، مليلة، الجزائر.

6- بولكعيبلات، نعيمة. (د. ت). النسق المضمر في نوادر جحا، مجلة فصول، القاهرة، مجلد 25/ 3، العدد 99، ربيع، الصفحات (429-445)

7- بومنير، كمال. (2010). النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، والدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان.

8- البيل، فارس. (2016). الرواية الخليجية قراءة في الأنساق الثقافية، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان-الأردن.

9- التميمي، عبد الله حبيب، الشجيري. (2014). سيرورة النقد الثقافي عند الغرب، مجلة جامعة بابل، العراق، العلوم الإنسانية، المجلد 22، العدد1.

10- حجازي، سمير. (2001). قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة- مصر.

11- حمداوي، جميل. (2016). نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة (نظرية الأنساق المتعددة)، دار الألوكة للنشر، الرياض.

12- حمزة، سحر. (2017). جدلية الأنساق المضمرة في النقد الثقافي، ط1، دار الحوار، اللاذقية- سوريا.

13- حمودة، عبد العزيز. (1998). المرايا المحدبة "من البنيوية إلى التفكيك"، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ع232، أفريل، الصفحات (194- 195).
14- دياب، محمد حافظ. (2004). ندوة النقد الثقافي، مجلة النقد الأدبي " فصول"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، العدد 13/ شتاء وربيع.
15- ديورنغ، سايمون. (2015). الدراسات الثقافية، مقدمة نقدية، ترجمة: ممدوح يوسف عمران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
16- رويدي، عدلان. (2014). الرواية وحوار الأنساق الثقافية: قراءة في رواية "كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس"لواسيني الأعرج، مجلة المَخْبَر، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد العاشر، الصفحات (413- 443).
17- الشرماني، فتحي. (2018). دينامية النسق الثقافي في القصيدة الجاهلية، عالم الكتاب الحديث، الأردن- إربد.
18- الطائي، معن. (2009). تأريخ "التأريخانية الجديدة" وإشكالية العلاقة مع اليسار الجديد، صحيفة المثقف الإلكترونية، سيدني- أستراليا، العدد 1248، الأحد 12/06.
19- الظاهر، سليمان أحمد. (2014). مفهوم النسق في الفلسفة (النسق: الإشكالات والخصائص)، مجلة جامعة دمشق، دمشق-سوريا، المجلد 30، العد 3+4، الصفحات (367- 400)
20- عبد الدايم، عبد الرحمان. (2011). النسق الثقافي في الكناية، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر.
21- عبد العال، محمد إبراهيم السيد. (2017). منهجية النقد الثقافي بين النظرية والتطبيق: دراسة في تحليل الخطاب النقدي، مجلة فصول، القاهرة- مصر، 3/25، العدد99، ربيع، الصفحات (683- 695).
22- علوش، سعيد. (1985). معجم المصطلحات المعاصرة: عرض وتقديم وترجمة، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ودار سوشبريس، الدار البيضاء- المغرب.
23- عليمات، يوسف. (2004). جماليات التحليل الثقافي: الشعر الجاهلي نموذجا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان.
24- عمر، أزراج. (2018). محطات في نشأة النقد الثقافي، صحيفة العرب، لندن، ملحق الثقافة، السنة 40، العدد 10881، الجمعة 26/ 2018/1.
25- الغذامي، عبد الله. (2005). النقد الثقافي: قراءة في الأنساق العربية، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب.
26- غرينبلات، ومنتروز، وغالغر، ولينتريشيا، وتايسن. (2018). التاريخانية الجديدة والأدب، ترجمة: لحسن أحمامة، ط1، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء- المغرب.
27- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (1986). معجم العين، تحقيق: د: مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، الجزء الخامس، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد-العراق.
28- قنصوه، صلاح. (2007). تمارين في النقد الثقافي، دار ميريت، القاهرة-مصر.
29- كريزويل، إديث. (1993). آفاق العصر: عصر البنيوية، ترجمة: جابر عصفور، ط1، دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع، الصفاه- الكويت.
30- كلنر، دوجلاس. (2017). مدرسة فرانكفورت والدراسات الثقافية البريطانية: الصيغة المفقودة، ترجمة: كرم أبو سحلي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد 3/25، العدد 99، ربيع، ص (249-278).

31- لومان، نيكلاس. (2010). مدخل إلى نظرية الأنساق، تر: يوسف فهمي حجازي، مر: رامز ملا، ط1، منشورات الجمل، كولونيا- المانيا، بغداد.
32- ليتش، فنسنت. (2000). النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينات إلى الثمانينيات، تر: محمد يحي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة- مصر.
33- مجمع اللغة العربية. (2004م). المعجم الوسيط، الجزء الثاني، ط 3، دار عمران، مصر.
34- الموسوي، محسن جاسم. (2005). النظرية والنقد الثقافي: الكتابة العربية عالم متغير، واقعها، سياقاتها، وبناها الشعورية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان.

المراجع الإلكترونية:

1- حمداوي، جميل. (2011). التاريخانية الجديدة، شبكة الألوكة، 3/15.
الرابط: https: //www. alukah. net/publications_competitions/0/39328/#ixzz5ctOdz1Eh
2- الطائي، معن. (2009). تأريخ "التأريخانية الجديدة" وإشكالية العلاقة مع اليسار الجديد، ع: 1248، الأحد، 12/06، الرابط: http: //www. almothaqaf. com/qadayaama/qadayama-09/8247
3- الأكاديمية العربية البريطانية للتعليم العالي، ماهية النسق الاجتماعي، (https: //www. abahe. uk/abahe-enc